

مقدمة المنهج الجديد

لتدريس الدين في مدارس الشام
للأستاذ الشيخ بهجة البيطار

« في مصر اليوم ميل قوى إلى الاقتراب من سائر بلدان
العربية ، وتوحيد برامج التعليم فيها جميعاً . كما أن في مصر
نهضة إسلامية قوية ، امتدت إلى ديار الشام خفزت وزير
معارفها الجليل إلى إجابة طلب الأمة وتلبية نداء مؤتمر العلماء ،
فزاد ساعات الدروس الدينية في المدارس الابتدائية والثانوية ،
وأصلح مناهجها ، وهذه هي المقدمة التي كتبها عالم الشام (كما
كان يسميه الامام السيد رشيد رضا) الأستاذ الشيخ بهجة
البيطار بتكليف من الوزارة تهجج الدين في المدارس الثانوية ،
اقترحت عليه نشرها في الرسالة لأن فيها دليلاً على حركة فكرية
جديدة في بلاد الشام ومن مبدأ الرسالة تسجيل الحركات الفكرية
ولأن فيها عوناً على ما نريد من توجيه برامج التعليم في الأقطار
العربية ، ولأنها بعد هذا كله فصل علمي قيم »
على الطنطاوي

الاسلام دين عام لجميع الشعوب والأقوام « وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين » والقرآن هو الذي هدى من دانوا به من الأمم
إلى جميع ما تمتعوا به من صنوف النعم ، وهو الذي أظهر على
أيديهم تلك المدنية الزاهرة ، التي جددت ما اندرس من المدنيات
الفاخرة ، وأوجدت أصول مخترعات الأمم المعاصرة . وبناء على
هذا الأساس ، نرجو أنظار الأساتذة الكرام وأفكارهم
إلى ما يأتي : -

١ - بيان أن القرآن الحكيم هو الذي هدى السلف إلى
الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فهم بمد أن سميت عقولهم
بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ،
عُنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الاسلام من
الفروض ، وأوجبها على الأمة إيجاباً لا هوادة فيه . قال تعالى :
« قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وهذا للنظر على
عملى ينتج أفضل النتائج والثمار ، وقال : « وسخر لكم ما في
السموات وما في الأرض جميعاً منه » وهذا التسخير تسخير
تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : « هو الذي خلق
لكم ما في الأرض جميعاً » وهذا خطاب عام لهذه الآيات دعوتهم

ويوجه نظرم إلى ما خلق تعالى في جوف هذه الأرض من الكنوز
والمعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، ويثبت أن جميع
ما استحدثته أمم الغرب في هذا العصر من القوى البرية والبحرية
والجوية ، ومن قوى الكهرباء ، وسائر ما ظهر في الوجود من
المخترعات والمكتشفات ، هو بما أرشد إليه الاسلام ، فردّه ردّاً
لنصوص القرآن ، وتمطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من
كل ما يميز قوتها وينمي ثروتها ويحمي حوزتها ويدفع عوادي
الشر عنها . وأى جناية على الاسلام وأهله أشد من هذه الجناية ؟
٢ - بيان موافقة تعاليم القرآن وهداياته ، لمصالح البشرية
كل زمان ومكان ، وأن مثل هذه الآيات الكريمة السابقة هي التي
أرشدت سلفنا الصالح إلى ما في السموات من أسرار ومنافع ، وما
في الأرض من كنوز وذخائر ، فارتقت عقولهم وأفكارهم بالعلوم
الالهية ، والفنون للصناعية ، إرتقاء سادوا به الأرض ، وساسوا
به للعالم سياسة هي في نظر المطلقين على تاريخ الأمم القديمة والحديثة
أفضل مثال للمدل والرحمة ، ثم بيان أن شقاء البشر الحاضر العام
لأمم الحضارة وما فيها من فوضى الآداب والاجتماع ، لا يزول
إلا باتباع هداية الدين

٣ - تطبيق ما في القرآن الحكيم من المواعظ والوعظ ، على
حال أهل هذا العصر والأتين بالشواهد والأمثال على ذلك ، وبيان
الفرق بين ماضي المسلمين وحاضرهم ، وحجة القرآن الكريم عليهم
وهذا كله من موضوع علم التفسير : تذكر هذه الآيات
الكريمة بمناسبة وتفسير بالظاهر التبادر منها ، بأسلوب ينطبق
على أذواق الطلاب وأفهامهم ويحلمهم على العمل بها في أنفسهم
وفي أمتهم

٤ - مما يجب بيانه في دروس التوحيد قول أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إنما تنقض عرى الاسلام عروة
عروة ، إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية » وهنا يبين
أن العرب كانوا في جاهليتهم مؤمنين بوجود الله تعالى ، موحدين
له في أفعالهم من خلق برزق وإحياء وإماتة ، وتصريف لجميع
الأمور . وهذا هو المسمى « توحيد الربوبية » ويستشهد لذلك
بالآيات الكريمة كقوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله » وكقوله : « قل من يرزقكم من السماء
والأرض ... الآية » وكقوله : « قل إن الأرض ومن فيها إن
كنتم تعلمون ؟ » ولون لله ... الآيات »

البشر ، كشفاء المرضى في الدنيا وإدخال الجنة في الآخرة ، فهو خاص بمن هو على كل شيء قدير ؛ ومنه قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » ؛ فيجب التمييز بين الأمور الكسبية والأمور النبوية . فالأولى يمكن طلبها بأسبابها ومن القادرين عليها ، والثانية عبادة ، وهي لا تكون إلا لله وحده ، فيلجأ إليه في طلبها ويتوكل عليه في تحصيلها . ولينتهي لهذا الفرق فانه عظيم

٦ - بيان أن عرب الجاهلية كانوا أربع فرق : فرقة كانت تدعو الجن ، والثانية الملائكة ، والثالثة تعبد الرسل والصالحين ، والرابعة وهي أحط الفرق الأربع كانت تعبد الأوثان التي نحتها على مثال الصالحين . وهذا البيان ، من افتراق المشركين إلى أربع فرق قد بيننا القرآن ، وكلهم كل فرقة بحسب ما وردت عليها ، وإليك الآيات التي تدل على ذلك :

الأولى : الفرقة التي كانت تدعو الجن « ويوم يحشرهم جميعاً ، ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، فالיום لا يملك بفسقكم لمض نفصاً ولا ضراً » ؛ وقال تعالى في شأن هذه الفرقة أيضاً : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له (اخترعوا) بين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصقون » ؛ وقال تعالى في شأن دعاء الملائكة والرسل والصالحين وهما الفرقتان للثانية والثالثة : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن هذاب ربك كان محذوراً » ولا يمكن لما قبل أن يزعم أن الأصنام كانت ترجو رحمة أو تخشى عذاباً

وقال تعالى في شأن الفرقة الرابعة وهم عبدة الأوثان الذين نحتوها على مثال الصالحين : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعواهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألمهم أرجل يمشون بها ... الآيات » وجميع هذه الفرق كانوا يمتقدون أن الخالق لكل شيء هو الله تعالى ، وأن دعاءهم لمن يدعون ليقرّبهم إلى الله زلفى ، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله : « ما تعبدتم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وقد تقدم ذلك . ومن هنا يتبين خطأ من يظن أن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم ، وقد علمت أن القرآن الكريم تكلم مع كل فرقة .

وإنما كان شركهم في توحيد الألوهية ، أي في توحيد العبادة ، وهو أنهم لم يقصروا عبادتهم بأنواعها على مستحقها وهو الله وحده كالثناء والخوف والرجاء ، والاستمانة والاستغاثة ، والذبح والنذر ليقرّبهم إلى الله على زعمهم ، قال تعالى : « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ... الآية » وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ... الآية » فرد الله عليهم هذا الزعم الباطل بهذه الآيات نفسها ، وبالآيات السابقة في توحيد الربوبية « ولئن سألتهم « قل من يرزقكم » وأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفرادهم تعالى بأفعال الربوبية ، على ما أنكروه من وجوب إفراده تعالى بالعبادة

ومن صنيعهم أنهم كانوا في الشدائد يخلصون لله في الدعاء كما قصّ علينا من شأنهم بقوله : « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجوا إلى البر إذأتم يشركون »

٥ - من اللهم بيان أن الخوف نوعان : خوف عادة كالخوف من أهو أو سبع مثلاً ، وهذا خوف طبيعي لا محذور فيه ، وخوف عبادة ، كالخوف من تصرف غائب أو ميت ، بعباد الله ، كتصرف الله بمخلوقاته ، وهذا فيه كل المحذور لأنه يتضمن اعتقاد أن لبعض المخلوقات قدرة على التصرف بأنفس الأحياء وأمواتهم ، كقدرة الله تعالى ، وهذا يخالف الحس والواقع ، ويناقض عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى . وهكذا سائر الصفات منها طبيعي ومنها غير طبيعي ؛ فن الطبيعي مثلاً خوف موسى عليه السلام من عصاه لما اقبلت حية « قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ومن غير الطبيعي حب بعض المخلوقات حب عبادة ، كما يجب للؤمن ربه ، قال تعالى « ومن للناس من يتخذ من دون أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » أو خشيته كما يخشى المؤمن ربه ، ومن شواهد قوله تعالى « إذا فريق منهم يخشون الناس خشية الله أو أشد خشية » ومن الأول أيضاً (أي الطبيعي) : « أدهوم لأبائهم هراً » عند الله « ومن الثاني (أي دعاء العبادة) : « وأن للمساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً » وهكذا الاستمانة والاستغاثة ، منها ما هو حادى طبيعي كاستمانة للناس بعضهم ببعض فيما يقدرون عليه ، ومنه قوله تعالى : « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » ، فهذا داخل في دائرة الأسباب والمسببات ، ومنها ما هو فوق قدرة

سراً أو علانية — لا يمكن أن يخون وطنه أو يخدع في أمره فيبيعه بثمن بخس من غير أهله . (والزكاة) إعطاء نصيب معلوم من المال للفقراء والمساكين الذين أقدمهم العجز عن العمل ، دون الكسالى المتسولين للفاديين على الأكل من كسب أيديهم (وبقية الآية ان الثمانية في آية : إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...) فإذا حفظت الزكوات والوصايا لمستحقها ووزعتها عليهم جميعات التعاون على البر والتقوى ، ذوات الاختصاص بتمييز المستحقين من غيرهم ، كانت هذه أفضل طريقة تجمع بها الأموال من المحسنين لإطعامهم وإيوائهم وتعليم أبنائهم . (والحج) أعظم مؤتمر إسلامي حر ، وأكبر نقابة في الدنيا تبحث في شؤون المسلمين ، والحج ، وتوازن بين ما بينهم وحاضرهم ، وتدافع عن حقوقهم وحررياتهم ، وتؤلف بين شعوبهم وقيادتهم . ثم هو فريضة الاسلام والركن الاجتماعي للعلم الذي يربط أفراد الأمة الاسلامية بعضهم ببعض ، ويشد أواصر التآخي والتراحم بينهم ، وينزع الضغن والحقد من بينهم فيضربون بنعمة الله إخواناً .

١٠ — الملون ورثة الأنبياء في تعاليمهم وأخلاقهم ، ومن شأن أساتذة الدين أن يكونوا من أكمل البشر وأفضلهم في آدابهم وأعمالهم ومعاملاتهم ، ويجب أن تتجلى فيهم مزايا العبادات المذكورة في هذه المقدمة وفوائدها ، وأن يكونوا هم صورة كاملة لها ، فهم القدوة الصالحة التي ينشدها الطلاب والمدارس ، والمثل العليا تستعمل من صفاتهم وأعمالهم ، لا من المكذب التي بين أيديهم فحسب . والرجاء في أساتذة الدين أن يصحبوا طلابهم في المصلى والمسجد (لا في المقهى والمقهى) ويكونوا أئمة لهم في بعض الصلوات ، ومؤتمنين بهم في البهض الآخر ، ولا يرى الطلاب من عمامهم مأخذاً لهم يتمسكون به (كمادة التدخين الضارة مثلاً) بل يجب أن يلاحظ رؤساء المعارف كافة والملون منهم خاصة ، وأساتذة الدين على الأحص ، أنهم ليسوا أشخاصاً عاديين لأنهم يربون أرواحاً ويصلحون إصلاحاً ، فيهم يقتدى ، ويهدى بهم يهتدى ، وليذكروا قول المصلح الأعظم صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . »

محمد بهجة البيطار

عضو الجمع العلمي العربي بدمشق
وأحد أعضاء لجنة (تنقيح المنهج)

٧ — راجع تفسير هذه الآيات الكريمة قبل إلغائها على الطلاب في كتب التفسير المتمددة ، ليملم سياقتها وسباقها ، والأسباب التي نزلت فيها وما فسر بها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعون لهم بإحسان كتفسيرى إمام المفسرين ابن جرير ، والحافظ المحدث بن كثير . ثم تفسر بأسلوب سهل خال من المصطلحات ، فيكرن الأستاذ قد جمع في تفسيرها بين القديم والحديث على أصح الوجوه وأسبغها . أما الآيات الكونية فيرجع فيها أيضاً إلى ما فسر بها به العلماء من معنى هذا المعنى .

٨ — تشرح في دروس الفقه أركان الاسلام الخمسة التي وردت في حديث « بنى الاسلام على خمس » وبين معنى كلمة التوحيد التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم ، وأنها (أى لا إله إلا الله) مئةقة لجميع آلهتهم (أى العرب قبل الاسلام) هادمة لأنواع عبادتهم ، ومثبتة لعبادة الله وحده الذي وحدوه ربوبيته (أى بأفئاله) ولم يوحده بالوهيته (أى بعبادتهم له كما تقدم) فمضى (لا إله) هو نقي لكل معبود في الوجود وإبطال لعبادته ، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده وهو الله تعالى ، ولو كان معناها (لا خالق إلا الله) أو ما هو في معنى ذلك من أنما الروبية كالرزق والاحياء والامانة لما استكبروا عن النطق بها ، لأن هذه الأنما لم يدعوها لآلهتهم ، وتقدم بيان هذا في توجيهات التوحيد ، فيجب على الأساتذة أن يشرحوا هذه الحقيقة لأنها أصل الأصول وحقيقة الحقائق .

٩ — بيان المقاصد الدينية والحكم الاجتماعية للصلاة والزكاة والحج والصيام ، وتبين أيضاً فوائد العبادات في متراك الحياة للعمل والجهاد القوي . (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكان ، تنهي عن الفحشاء ، وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجبوش المعنوية التي فتحت بلاد الشرق لها عقولها وجسومها وجيوبها كالنمر والميسر والزنا والربا والانتحار ، فكثير ممن أضع الصلاة وانبع للشهوات وقع في هذا التيار الذي أسله إلى الجنون أو النون ، فكان ذلك من أشد المصائب على الوطن . (والصيام) الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خلق (أى مبدأ) قويم لا يعبد عنه . فالصائم الذي يغلب عقله شهوته ولا يخون دينه بالأكل نهراً —